مناظرة بين مقلد وصاحب حجة تابع ويتبع

(الوجه السادس والسبعون) قولكم : إنكم منعتم من التقليد خشية وقوع المقلد في الخطأ بأن يكون من قلده مخطئا في فتواه ثم أوجبتم عليه النظر والاستدلال في طلب الحق ولاريب أن صوابه في تقليده لمن هو أعلم منه أقرب من اجتهاده هو لنفسه كمن أراد شرى سلعة لاخبرة له بها فانه اذا قلد عالما بتلك السلعة خبيرا بها أمينا ناصحا كان صوابه وحصول غرضه أقرب من اجتهاده لنفسه : — جوابه من وجوه

(أحدها) أنا منعنا التقليد طاعة لله ورسوله والله ورسوله منع منه وذم أهله في كتابه وأمر بتحكيمه وتحكيم رسوله ورد ماتنازعت فيه الأمة اليه والى رسوله وأخبر أن الحكم له وحده ونهى أن يتخذ من دونه ودون رسوله وليجة وأمر أن يعتصم بكتابه ونهى أن يتخذ من دونه أولياء وأربابا يحلّ من اتخذهم ما أحلوه ويحرم ماحرموه وجعل من لاعلم له بما أنزله على رسوله بمنزلة الأنعام وأمر بطاعة أولي الأمر اذا كانت طاعتهم طاعة لرسوله بأن يكونوا متبعين لأمره مخبرين به واقسم بنفسه سبحانه أنا لانؤمن حتى نحكم الرسول خاصة فيما شجر بيننا لانحكم غيره ثم لانجد في أنفسنا حرجا مما حكم به كما يجده المقلدون اذا جاء حكمه خلاف قول من قلدوه وأن نسلم لحكمه تسليما كما يسلم المقلدون لأقوال من قلدوه بل تسليما أعظم من تسليمهم وأكمل والله المستعان وذم من حاكم الى غير الرسول . وهذا كما أنه ثابت في حياته فهو ثابت بعد مماته فلو كان حيا بين اظهرنا ونحاكمنا الى غيره لكنا

من أهل الذم والوعيد فسنته وماجاء به من الهدى ودين الحق لم يمت وان فقد من بين الأمة شخصه الكريم فلم يفقد من بينها سنته ودعوته وهديه . والعلم والايمان بحمد الله مكانهما من ابتغاهما وجدهما . وقد ضمن الله سبحانه حفظ الذكر الذي أنزله على رسول فلا يزال محفوظا بحفظ الله محميا بحمايته لتقوم حجة الله على عباده قرنا بعد قرن اذ كان نبيهم آخر الانبياء ولا نبي بعده فكان حفظه لدينه وما أنزله على رسوله مغنيا عن رسول آخر بعد خاتم الرسل والذي أوجبه الله سبحانه وفرضه على الصحابة من تلقي العلم والهدى من القرآن والسنة دون غيرهما هو بعينه واجب على من بعدهم وهو محكم لم ينسخ ولم يتطرق اليه النسخ حتى ينسخ الله العالم او يطوي الدنيا وقد ذم الله تعالى من اذا دعي الى ما أنزله والى رسوله صد وأعرض وحذره ان تصيبه مصيبة باعراضه عن ذلك في قلبه ودينه ودنياه وحذر من خالف عن أمره واتبع غيره ان تصيبه فتنة أو يصيبه عذاب أليم ، فالفتنة في قلبه ، والعذاب الاليم في بدنه وروحه ، وهما متلازمان فمن فتن في قلبه باعراضه عما جاء به ، ومخالفته له الى غيره ، أصيب بالعذاب الاليم ولابد . وأخبر سبحانه انه اذا قضى أمراً على لسان رسوله لم يكن لأحد من المؤمنين ان يختار من أمره غير ماقضاه فلا خيرة بعد قضائه لمؤمن البتة

ونحن نسأل المقلدين : هل يمكن ان يخفى قضاء الله ورسوله على من قلدتموه دينكم في كثير من المواضع ام لا ؟ فان قالوا : لا يمكن ان يخفى عليه ذلك : انزلوه فوق منزلة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي والصحابة كلهم فليس أحد منهم الا وقد خفي عليه بعض ماقضى الله ورسوله به . فهذا الصديق أعلم الامة به خفي عليه ميراث الجدة حتى أعلمه به محمد بن مسلمة والمغيرة بن شعبة وخفي عليه ان الشهيد لا دية له حتى أعلمه به عمر فرجع الى قوله . وخفي على عمر (١) تيمم الجنب فقال لو بقي شهرا لم يصل حتى يغتسل . وخفي عليه (٢) دية الاصابع فقضى بالابهام والتي تليها بخمس وعشرين حتى أخبر ان في كتاب عمرو بن حزم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى فيها بعشر عشر فترك قوله ورجع اليه . وخفي عليه (٣) شأن الاستئذان حتى اخبره به أبو موسى وأبو سعيد الخدري . وخفي عليه (٤) توريث المرأة من دية زوجها حتى كتب اليه الضحاك بن سفيان الكلابي وهو اعرابي من أهل البادية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره أن

يورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها. وخفي عليه(٥) حكم املاص المرأة حتى سأل عنه فوجده عند المغيرة بن شعبة. وخفي عليه(٦) أمر المجوس في الجزية حتى اخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذها من مجوس هجر. وخفي عليه(٧) سقوط طواف الوداع عن الحائض فكان يردهن حتى يطهرن ثم يطفن حتى بلغه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلاف ذلك فرجع عن قوله. وخفي عليه(٨) التسوية بين دية الاصابع وكان يفاضل بينها حتى بلغته السنة في التسوية فرجع اليها. وخفي عليه(٩) شأن متعة الحج وكان ينهى عنها حتى وقف على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بها فترك قوله وأمر بها. وخفي عليه(١٠) جواز التسمي بأسماء الانبياء فنهى عنه حتى أخبره به طلحة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كناه ابا محمد فامسك ولم يعاد على النهي. هذا وابو موسى ومحمد بن مسلمة وابو أيوب من اشهر الصحابة ولكن لم يمر بباله رضي الله عنه أمر هو بين يديه حتى نهي عنه. وكما خفي عليه (١١) قوله تعالى «انك ميت وانهم ميتون» وقوله «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» حتى قال والله كأني ما سمعتها قط قبل وقتي هذا. وكما خفي عليه(١٢) حكم الزيادة في المهر على مهور أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبناته حتى ذكرته تلك المرأة بقوله تعالى «وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا» فقال كل أحد أفقه من عمر حتى النساء. وكما خفي عليه(١٣) أمر الجد والكلالة وبعض أبواب الربا فتمنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان عهد اليهم فيها عهدا. وكما خفي عليه يوم الحديبية(١٤) أن وعد الله لنبيه وأصحابه بدخول مكة مطلق لا يتعين لذلك العام حتى بينه له النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وكما خفي عليه(١٥) جواز استدامة الطيب للمحرم وتطيبه بعد النحر وقبل طواف الافاضة وقد صحت السنة بذلك. وكما خفي عليه(١٦) أمر الطاعون والفرار منه حتى اخبر بان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «اذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها واذا وقع وانتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه» هذا وهو اعلم الامة بعد الصديق على الاطلاق وهو كما قال ابن مسعود لو وضع علم عمر في كفة ميزان وجمع علم اهل الارض في كفة لرجح علم عمر. قال الاعمش: فذكرت ذلك لابراهيم النخعي فقال والله اني

لأحسب عمر ذهب بتسعة اعشار العلم .

وخفي على عثمان بن عفان أقل مدة الحمل حتى ذكره ابن عباس بقوله تعالى « وحمله وفصاله ثلثون شهرا » مع قوله « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين » فرجع الى ذلك . وخفي على أبي موسى الاشعري ميراث بنت الابن مع البنت السدس حتى ذكر له ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورثها ذلك . وخفي على ابن عباس تحريم لحوم الحمر الاهلية حتى ذكر له ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرمها يوم خيبر . وخفي على ابن مسعود حكم المفوضة وترددوا اليه فيها شهرا فأفتاهم برأيه ثم بلغه النص بمثل ما أفتى به .

وهذا باب لو تتبعناه لجاء سفراً كبيراً فنسأل حينئذ فرقة التقليد هل يجوز أن يخفى على من قلدتموه بعض شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يخفى ذلك على سادات الامة اولا ؟ فان قالوا لايخفى عليه وقد خفي على الصحابة مع قرب عهدهم بلغوا في الغلو مبلغ مدعي العصمة في الأئمة . وان قالوا : بل يجوز ان يخفى عليهم — وهو الواقع وهم مراتب في الخفاء في القلة والكثرة — قلنا : فنحن نناشدكم الله الذي هو عند لسان كل قائل وقلبه اذا قضى الله ورسوله امرا خفي على من قلدتموه هل تبقى لكم الخيرة بين قبول قوله ورده ام تنقطع خيرتكم وتوجبون العمل بما قضاء الله ورسوله عينا لايجوز سواه ؟ فأعدوا لهذا السؤال جواباً وللجواب صواباً . فان السؤال واقع ، والجواب لازم ، والمقصود ان هذا هو الذي منعنا من التقليد فأين معكم حجة واحدة تقطع العذر وتسوغ لكم ماارتضيتموه لأنفسكم من التقليد .

(الوجه الثاني) ان قولكم صواب المقلد في تقليده لمن هو أعلم منه اقرب من صوابه في اجتهاده دعوى باطلة فانه اذا قلد من قد خالفه غيره ممن هو نظيره أو أعلم منه لم يدر على صواب هو من تقليده او على خطأ بل هو كما قال الشافعي : حاطب ليل اما ان يقع بيده عود أو أفعى تلدغه . واما اذا بذل اجتهاده في معرفة الحق فانه بين أمرين اما ان يظفر به فله اجران واما ان يخطئه فله أجر فهو مصيب للاجر ولابد بخلاف المقلد المتعصب فانه ان اصاب لم يؤجر وان أخطأ لم يسلم من الاثم فاين صواب الاعمى من صواب البصير الباذل جهده .

(الوجه الثالث) أنه انما يكون أقرب الى الصواب اذا عرف ان الصواب مع من قلده دون غيره وحينئذ فلا يكون مقلدا له بل متبعا للحجة واما اذا لم يعرف ذلك البتة فمن اين لكم انه اقرب الى الصواب من باذل جهده ، ومستفرغ وسعه فى طلب الحق .

(الوجه الرابع) ان الاقرب الى الصواب عند تنازع العلماء من امتثل امر الله فرد ماتنازعوا فيه الى القرآن والسنة واما من رد ماتنازعوا فيه الى قول متبوعه دون غيره فكيف يكون أقرب الى الصواب .

(الوجه الخامس) أن المثال الذي مثلتم به من أكبر الحجج عليكم فان من أراد شرعة سلفية ، أوسلوك طريقة حين اختلف عليه اثنان او أكثر وكل منهم يأمره بخلاف مايأمره به الآخر فانه لايقدم على تقليد واحد منهم بل يبقى مترددا طالبا للصواب من أقوالهم فلو أقدم على قبول قول أحدهم مع مساواة الآخر له في المعرفة والنصيحة والديانة أوكونه فوقه فى ذلك عد مخاطرا مذموما ولم يمدح إن أصاب وقد جعل الله فى فطر العقلاء فى مثل هذا أن يتوقف أحدهم ويطلب ترجيح قول المختلفين عليه من خارج حتى يستبين له الصواب ولم يجعل فى فطرهم الهجوم على قبول قول واحد واطراح قول من عداه (لها بقيه)

سبب انتصار الدين وسبب سيادة المسلمين

القضاء والقداسة

قد اعتاد ذلك الشاب القبطي الذي كان يحرر مجلة بشائر السلام على الارتزاق والتعزز عند قومه بدعوة المسلمين الى النصرانية ولما خذلت تلك المجلة ولم يجد مجلة ولاجريدة غيرها تقبل ان تستخدمه لنشر بضاعته المزجاة رأى ان يطبع منشورات في الدعوة الى النصرانية ويطوف فى البلاد موزعا لها ويظهر ان له من قومه أعوانا يرضخون له إسعادا على هذا العمل الذي يرون أنه يغيظ المسلمين وربما يعتقد الغافلون منهم أنه ربما يشككهم فى دينهم . وقد أرسل الينا الكاتب نسخة من منشوره وكتب عليها مانصه :